التوطئة القرآنية
دراسة نظرية

الباحث/ عبد الله بن محمد بن إبراهيم البريدي
جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فإن القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، من تمسك به نجا وهُدي، ومن زاغ عنه ضل وما سُعد، وإن علومه كثيرة واسعة شاملة. وكُل البحوث التي كتبت لم تبلغ معشار ما في هذا الكتاب العزيز من المعارف والعلوم، وهو كتاب لا تنقضي عجائبه، وكلما زاد الإنسان في التوسع في علومه انفتح له من العلوم مالا يخطر له على بال، والموفق من وفقه الله لدراسة كتاب الله والبحث فيه، وأكثر ما ندم عليه السابقون واللاحقون هو تقصيرهم في كتاب الله قراءة وتدبرًا وتعلمًا، وقد بذل العلماء وسعهم وطاقتهم للنظر في معاني كتاب الله، ومن ضمن ما اعتنوا به علم المناسبات، ومنها التوطئة والتمهيد وغيرها من العبارات، وقد نظرت في كلام المفسرين حول التوطئة القرآنية.

فأحببت أن يكون لي سُهمة في هذا الجانب، فاستعنت بالله واخترت موضوع:

التوطئة القرآنية – دراسة نظرية –

المقدمة

وتشمل:

أولاً: أهمية اختيار الموضوع.

ثانيًا: مشكلة البحث.

ثالثًا: أهداف البحث.

رابعًا: الدراسات السابقة.

خامساً: خطة البحث.

سادساً: منهج البحث.

أولاً: أهمية البحث وأسباب اختياره:

وتبرز جوانب ذلك في أمور عدة، منها:

- الكشف عن دراسة جديدة من الدراسات القرآنية المتعلقة بأحد الأساليب العربية التي تناولها جمع من المفسرين.
- فهم هذا الأسلوب العربي من خلال استعراض الآيات القرآنية التي جاءت ضمن هذا الأسلوب والتمعن في سماتها وخصائصها.
- الاستفادة من التوطئة القرآنية في معرفة شموليتها وسَعة معانيها.

ثانيًا: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن موضوع التوطئة القرآنية من المواضيع التي تكلم عنها المفسرون بعبارات مختلفة ومتفرقة وبعضهم لم يصرح بها ويمكن تحديد المشكلة في الأسئلة الآتية:

ما العبارات التي استخدمها المفسرون وأرادوا بها التوطئة.

ما موقف المفسرين من التوطئة القرآنية كثرةً وقلةً.

ما أوجه التوطئة عند المفسرين.

ثالثًا: أهداف البحث:

توضيح المراد بالتوطئة عند المفسرين.

بيان مناهج المفسرين في التوطئة.

إبراز معاني التوطئة ومرادفاتها مما يذكره المفسرون.

خامسًا: الدراسات السابقة:

من خلال البحث في فهارس المكتبات السعودية: مثل مركز الملك فيصل للبحوث والرسائل، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد الله الرقمية، ودار المنظومة، وغيرها، وبعد البحث والسؤال عمّن بحث عن التوطئة عند المفسرين، وقفت على الدراسات الآتية:

١- رسالة علمية بعنوان: (الآيات القرآنية الموطئة لغيرها من خلال تفسير التحرير والتنوير وأثرها في المعنى جمعًا ودراسة للطالب/ سلطان بن فهد بن علي الصطامي) للحصول علي درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وهي خاصة بابن عاشور.

٢- رسالة ماجستير بجامعة الأزهر، بعنوان: (سنة التمهيد في الكتاب المجيد، دراسة موضوعية) للباحث: عباس أحمد محمد.

وقصد الباحث بـــ: (التمهيد) أي: التوطئة، وهو أحد مرادفاتها.

وقد اطلعت عليها وهي وإن كانت قريبة من موضوعي، إلا أنها تختلف مـــن حيـــث الأهداف وتقسيمات الخطة.

فقد اطلعت على هذه الرسالة وتبين لي اقتصار صاحب الرسالة علـــى نظـــم الـــدرر للبقاعي وفي ظلال القرآن لسيد قطب وأن الرسالة أشبه ما تكون بالتفسير الموضوعي.

وقد قسم فصولها إلى:

المكي والمدني.

التمهيد في السورة.

التمهيد في الآية.

التمهيد في القصة القرآنية.

تدرج القرآن في تربية الأمة علي الدعوة والعقيدة والعبادات والعادات.

التمهيد في الأساليب.

وأما بحثي فهو مغاير لها تمامًا وليس فيه قرب إلا في مبحث التمهيد في الآيـــة مـــن حيث اسم الفصل. وأما الحقيقة فطرحي مختلف عنه ومن قرأ الفصول النظرية يتبـــين لـــه ذلك وسيتبين أكثر في الدراسة النظرية.

سادسًا: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وباب وخاتمة ومراجع.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومشكلة البحـــث وخطـــة البحـــث ومنهج البحث.

التمهيد: وفيه:

أ/ تعريف التوطئة.

ب/ أهمية التوطئة.

باب: الدراسة النظرية للتوطئة القرآنية

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: مقدمات في مصطلح التوطئة القرآنية وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوطئة القرآنية.

المبحث الثاني: ألفاظ التوطئة القرآنية عند المفسرين.

المبحث الثالث: الصلة بين علم المناسبات وبين التوطئة القرآنية.

الفصل الثاني: أنواع التوطئة القرآنية وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أنواع التوطئة القرآنية من حيث صيغتها.

المبحث الثاني: أنواع التوطئة القرآنية من حيث موضوعاتها.

المبحث الثالث: أنواع التوطئة القرآنية من حيث تعلقها بالسور والآيات.

الفصل الثالث: التوطئة القرآنية عند المفسرين وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اهتمام المفسرين بالتوطئة.

المبحث الثاني: طريقة المفسرين في عرض التوطئة القرآنية.

المبحث الثالث: التوطئة القرآنية عند المفسرين من بداية التدوين إلى عصرنا الحاضر.

الفصل الرابع: أثر التوطئة القرآنية في المعنى عند المفسرين وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر التوطئة القرآنية في المعنى التفسيري.

المبحث الثاني: أثر التوطئة القرآنية في الترجيح بين أقوال المفسرين

المبحث الثالث: أثر التوطئة القرآنية في تفسير آيات الأحكام عند المفسرين.

المبحث الرابع: أثر التوطئة القرآنية في تفسير آيات الاعتقاد عند المفسرين.

الخاتمة: أهم نتائج البحث.

سابعًا: منهج البحث:

سيسير الباحث بإذن الله على طريقة المنهج الوصفي في الدراسة النظرية لبيان المقدمات في التوطئة القرآنية.

التمهيد:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف التوطئة.

التوطئة: من حيث اللغة تدل على التهيئة والتمهيد والتذليل لما يستقبل.

فالتوطئة تأتي لمعاني:

١- التمهيد: يراد به البسط فهيأه أي بسطه، مهّد الفرش: أي بسطها. ومهّد له الأمر: أي وطّأه.

٢- والتذليل فطريق مذيل أي ممهد.

٣- التهيئة. يقال: أرضت الكلام، إذا هيأته وسويته.

التوطئة اصطلاحا: فهي اسلوب يؤتى به للوصول الى المعنى المراد.

قال ابن الأثير:"ومنه الحديث «ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟

أحاسنكم أخلاقًا، الموطأون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون».[١] هذا مثل وحقيقته من التوطئة، وهي التمهيد والتذليل. وفراش وطيء: لا يؤذي جنب النائم. والأكناف: الجوانب. أراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى".[٢]

قال ابن منظور:"وطأ: وطئ الشيء يطؤه وطأ: داسه. قال سيبويه: أما وطئ يطأ فمثل ورم يرم ولكنهم فتحوا يفعل، وأصله الكسر، كما قالوا قرأ يقرأ. وقرأ بعضهم: طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، بتسكين الهاء. وقالوا أراد: طإ الأرض بقدميك".[٣]

قال أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي:" باب الواو مع الطاء (وطأ)

قوله عز وجل: [لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَاحَرَّمَ ٱللَّهُ]{التوبة:٣٧} أي: ليوافقوا والمواطأة الموافقة والمماثلة، ويقال: وطأت الشعر إذا قال بيتين على قافية واحدة والوطاء في الشعر وواطأ واحدة.

ومثله قوله: [هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا] {المزمل:٦} أي: مواطأة، وهي المواطأة والموافقة وذلك أن اللسان يواطئ العمل، والسمع يواطئ فيها القلب، ومن يقرأ (أوطأ) فمعناه أبلغ في القيام وأوطأ للقائم وقيل: أبلغ في الثواب ويجوز أن يكون معناه أي أغلظ على الإنسان من القيام بالنهار وكأن الليل جعل سكنا.

---

(١) أخرجه معمر بن راشد في جامعه برقم (٢٠١٥٣) (١١/ ١٤٤) والبيهقي شعب الإيمان برقم (٧٦١٦) (١٠/ ٣٥٦) والبغوي في شرح السنة برقم (٣٣٩٥) (١٢/ ٣٦٦) قال الألباني في صحيح الترغيب رقم (٢٦٥٨) حسن لغيره

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٠١)

(٣) لسان العرب (١/ ١٩٨) وتاج العروس (١/ ٤٩٧) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٠١) غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٧٤)مجمع بحار الأنوار (٥/ ٧٦)

وقوله تعالى: [لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ] {الفتح:٢٥} أي: تنالوهم بمكروه يقال وطئهم العدو إذا نكى فيهم.

ومنه الحديث: (اللهم اشدد وطئتك على مضر)[١] أي: خذهم أخذًا شديدًا وقد وطئنا العدو وطأة شديدة وتكون بالقدم وبالقوائم وبالخيل أيضًا ".[٢]

وعند الحديث عن التوطئة ينبغي ذكر الفرق بين التوطئة والفذلكة لأن ذلك مما يكثر الخلط فيه فنقول:

التوطئة: هي التهيئة والتمهيد لما يستقبل.

الفذلكة هي نتيجة متفرعة على ما سبق.

قال محمد التهانوي:" الفذلكة: هي في كلام العلماء يراد بها إجمال ما فصّل أولاً كذا ذكر الخفاجي في حاشية البيضاوي، ويقال أيضا إنّ الفذلكة بمعنى مجمل الكلام وخلاصته كما يفهم من كلام المولوي عبد الحكيم في حاشية الخيالي، وقد يراد بها النتيجة لما سبق من الكلام والتفريع عليه".[٣]

قال أبو البقاء الكفوي:" ثم أطلق لفظ الفذلكة لكل ما هو نتيجة متفرعة على ما سبق حسابا كان أو غيره". [٤]

ومن الأمثلة على الفذلكة:

في قوله تعالى: [إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾] {الحج:١٤-١٧}

قال أبو بكر الجزائري:" هذه الآية نزلت كالفذلكة لما سبق فقررت الصراع الدائر بين الحق والباطل وسمت المتصارعين بألقابهم".[٥]

وفي قوله تعالى: [وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَا ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾] {المؤمنون:٦٠-٦١}.

---

(١) أخرجه البخاري،كتاب الأذان ،باب: يهوي بالتكبير حين يسجد رقم (٨٠٤) (١/ ١٦٠) ومسلم ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة برقم (٢٩٤ – (٦٧٥) (١/ ٤٦٦)

(٢)الغريبين في القرآن والحديث (٦/ ٢٠١٢)

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٢٦٤)

(٤) الكليات (ص: ٦٩٧)

(٥) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٤٦١)

قال الطيبي:"ويكون مجيء قولـــه تعـــالى: [أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ] {المؤمنون:٦١} كالفذلكة لما للفرق الثلاث من الفضل والكرامة والخير". (١)

المبحث الثاني: أهمية التوطئة.

التوطئة لها أهمية بالغة حيث إن جمعًا من المفسرين قد تكلم عن التوطئة وهـــم بـــين مُقِلٍّ ومُستكثر

والتوطئة تكون بأمرين:

١. اللفظة
٢. أثرها في المعنى

أما اللفظة فهي ما ذكر من عبارة تدل على التوطئة وقد اختلفت عبارات المفـــسرين في لفظ التوطئة ومنها على ما مر معي في البحث من عباراتهم:

١. التوطئة – توطئة
٢. التمهيد –تمهيدًا
٣. توطئة وتمهيدًا – تمهيدًا وتوطئة – التوطئة والتمهيد
٤. التقدمة – المقدمة – مقدمة
٥. مفتاح الكلام – استفتاح الكلام
٦. كالمقدمة والتوطئة

وابن عاشور يرى الفرق بين المقدمة والتمهيد.

قال ابن عاشور:"والمقدمة أخص من التمهيد لأنها تشتمل على ما يوضـــح المقـــصد بخلاف التمهيد".(٢)

الأمر الثاني: أثرها في المعنى وهو الأثر الذي تبقيه التوطئة على الحكم أو المعنى الذي سوف يتعقبها، فوجود التوطئة له أثر بالغ في دلالة الآية على الحكم والمعنى، وللتوطئة أثر في المعنى سواء أكان تفسيريًا أو لغوياً أو عقدياً أو غيره، والمعنى التفسيري إما إيضاح أو ترجيح أو تضعيف.

في قولـــه تعـــالى: [هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ] {آل عمران:٦}.

قال الْحَرَالِّي:"ولما كان تفصيل يتقدمه بالرتبة عجل جامع، وكانـــت تـــراجم الـــسورة موضع الإجمال، ليكون تفصيلها موضع التفاصيل، وكان من المذكور في سورة الكتاب مـــا

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (١٠/ ٥٩٨)
(٢) التحرير والتنوير (٢١/ ٢٥٣)

وقع من اللبس، كذلك كان في هذه السورة التي ترجمها جوامع إلاهية ما وقع من اللبس في أمر الإلهية في أمر عيسى، عليه الصلاة والسلام، فكان في هذه الآية **الجامعة توطئة لبيان الأمر في شأنه،** عليه السلام، من حيث إنه مما صور في الرحم، وحملته الأنثى ووضعته، وأن جميع ما حوته السماء والأرض لا ينبغي أن يقع فيه لبس في أمر الإلهية ".[1]

فقوله تعالى: [هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ] {آل عمران:٦} توطئة لقوله [قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ] {آل عمران:٤٧}.

فالله جل وعلا ذكر ما يصور في الأرحام من المخلوقات ومن ذلك عيسى عليه السلام لنفي ما عليه النصارى من اعتقادهم فيه الألوهية والربوبية وأنه مخلوق قد مر بما مر به غيره من البشر وهو الحمل والولادة.

وأن الأرحام هي مكان تكوين الإنسان وهي من صفات البشر ولذلك كان فيه فرق بين الخالق والمخلوق، فرد الله جل وعلا على من يدعي في عيسى الربوبية والألوهية أنه كان في الرحم وهذا مناف للكمال المطلق الذي هو من خصائص الرب جل وعلا.

فعيسى بشر مخلوق مصور في الأرحام لم يرقَ إلى مقام الألوهية وهذا يتنافى مع مقام الالوهية له من دون الله.

(١) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي (ص: ٥٠٤)

الدراسة النظرية للتوطئة القرآنية:

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: مقدمات في مصطلح التوطئة القرآنية.

الفصل الثاني: أنواع التوطئة القرآنية.

الفصل الثالث: التوطئة القرآنية عند المفسرين.

الفصل الرابع: أثر التوطئة القرآنية في المعنى عند المفسرين.

المبحث الأول: تعريف التوطئة القرآنية.

هذا التعريف المركب لم يَسبق له – على حد علمي – ذكرٌ في كتب التفسير، وقد بحثت كثيرًا فلم أجد أحدًا تكلم به.

التوطئة اصطلاحًا: أسلوب من أساليب أهل العلم في تفسير كلام الله وبيان معناه، يأتي تمهيدًا وتذليلاً للكلام والمعنى اللاحق به، ويختلف أثره بحسب الغرض من التوطئة التي قد تكون للتقرير أو لتأكيد المعنى اللاحق، أو تكون تفسيرًا له أو تكون غير ذلك من المقاصد البيانية.

ولما ننظر إلى التعريف اللغوي أو التعريف الإصطلاحي نجد التقارب الوثيق والقرب في الجملة وهي التمهيد والتقدمة والتذليل.

من خلال هذا التتبع الذي ذكرته للتوطئة يظهر لي جليًا أنها أسلوب لأهل العلم في التفسير والبيان وأنه لا يوجد اتفاق على معناها وأن القدر المتفق عليه بينهم هو كونها تقدمة أو تمهيدًا.

المبحث الثاني: ألفاظ التوطئة القرآنية عند المفسرين.

تكلم المفسرون عن التوطئة في كتبهم كثيرا وقد مر معي في البحث كلامهم وقد نقلت ذلك وسواء كان بلفظ التوطئة أو أحد مرادفاتها، كابن جرير الطبري والثعلبي ثم من جاء بعدهم، وبذلك نجد أن عبارة السابقين كعبارة اللاحقين كلهم ينص على التوطئة أو بأحد مرادفاتها. وقد ذكروا التوطئة على حالات:

١- ذكر اتفاق عبارتهم بنصها.

٢- ذكر اللفظة نفسها مع اختلاف يسير فيها.

٣- ذكر التوطئة مع اختلاف في ألفاظها.

وتفصيلاتها كالآتي:

١- ذكر اتفاق عبارتهم بنصها.

وفي هذا المثال نذكر جمعًا من المفسرين اتفقت عبارتهم بنصها.

في قوله تعالى: [يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾] {النساء:٢٦-٢٧}.

نص على التوطئة جمع من أهل العلم:

قال ابن عطية:"وتكرار إرادة الله تعالى التوبة على عباده تقوية للإخبار الأول، وليس المقصد في هذه الآية إلا الإخبار عن إرادة الذين يتبعون الشهوات، **فقدمت إرادة الله توطئة، مظهرة لفساد إرادة متبعي الشهوات**".(١)

وتابعه ابن جزي، والسمين الحلبي، وابن عادل، والثعالبي، وابن عجيبة.

قال ابن جزي:"[وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ] {النساء:٢٧} **توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات**".(٢)

قال السمين الحلبي:"فَقُدِّمت إرادةُ اللهِ **توطئةً مُظْهِرَةً لفسادِ إرادةِ مُتَّبعي الشهوات**».(٣)

قال ابن عادل:"الإخبار عن إرادة الذين يتبعون الشَّهوات فقدمت إرادة الله **تَوْطِئَة مُظْهِرَةً لفسادِ إرادة مُبتغي الشَّهَوَات**".(٤)

قال الثعالبي:" [ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ] {النساء:٢٧}، فقُدِّمَتْ إرادةُ اللَّه تعالى **تَوْطِئَةً مُظْهِرة لفسَادِ إرادة مُتَّبِعي الشهوات**".(٥)

قال ابن عجيبة:"[وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ] {النساء:٢٧} **كرره توطئة** لقوله: [وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟] {النساء:٢٧}عن الحق مَيْلًا عَظِيماً ".(٦)

وبعد ذكر أقوال المفسرين في التوطئة نجد أنهم أتفقوا في عباراتهم بين الجملة المؤطِئة والجملة الموطَئة، وإن دل ذلك على أن الله جل وعلا يريد أن يتوب عباده، لكن أصحاب الشهوات يريدون الميل العظيم الذي يحرف الإنسان عن جادة الصواب، ولذلك حذرنا ربنا من سلوك طريقتهم ومنهجهم وتباين الفريقين واضح بين الطريق الموصل الى جنته وبين طريق غضبه. والتوطئة مبينه وموضحه للمراد.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٢/ ٤٠]
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل(١/ ١٨٨)
(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون(٣/ ٦٦١)
(٤) اللباب في علوم الكتاب(٦/ ٣٣٢)
(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن(٢/ ٢٢٣)
(٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(١/ ٤٩٢)

٢- ذكر اللفظة نفسها مع اختلاف يسير فيها.

في قوله تعالى: [وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {الأنفال:٤١}

قال الطبري:" اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم قوله: [فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ] {الأنفال:٤١} **مفتاح كلام**، ولله الدنيا والآخرة وما فيهما، وإنما معنى الكلام: فإن للرسول خمسه".(١)

قال السمرقندي:"قوله: [فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ] {الأنفال:٤١} قال: «هذا مفتاح الكلام لله الدنيا والآخرة ".(٢)

قال الثعلبي:" اختلاف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم قوله: [فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ] {الأنفال:٤١} **مفتاح الكلام**. ولله الدنيا والآخرة فإنّما معنى الكلام: فإنّ للرسول خمسه".(٣)

قال ابن عطية:" قوله [فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ] {الأنفال:٤١} **استفتاح كلام** كما يقول الرجل لعبده قد أعتقك الله وأعتقتك على جهة التبرك وتفخيم الأمر، والدنيا كلها لله، وقسم الله وقسم الرسول واحد، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقسم الخمس على خمسة أقسام كما تقدم".(٤)

قال القرطبي:" قال الحسن: **هذا مفتاح كلام**، الدنيا والآخرة لله، ذكره النسائي".(٥)

قال أبو حيان:" قوله [فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ] {الأنفال:٤١} **استفتاح كلام** كما يقول الرجل لعبده: أعتقك الله وأعتقتك على جهة التبرك وتفخيم الأمر والدنيا، كلها لله وقسم الله وقسم الرسول واحد".(٦)

قال ابن كثير:" وقال آخرون: ذكر الله ها هنا **استفتاح كلام** للتبرك، وسهم لرسوله عليه السلام".(٧)

قوله [وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ] {الأنفال:٤١} توطئة لقوله: [وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ] {الأنفال:٤١} .

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٥٤٨)
(٢) بحر العلوم(٢/ ٢٢)
(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن(٤/ ٣٥٧)
(٤)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٥٣٠)
(٥) تفسير القرطبي (٨/ ١٠)
(٦) البحر المحيط في التفسير (٥/ ٣٢٣)
(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩)

في هذه الآية بيان من يقسم عليه الغنيمة وأن هذه الغنيمة تقسم على خمسة أقسام لا يزاد عليها وهذا باتفاق العلماء وأما النقص عن خمسة فالصحيح أنه على حسب المصلحة كما ذكره جمع من العلماء.

فالله جل وعلا بين كل شي ولم يترك الناس بلا وضوح في دينهم فبين لهم مايحتاجون، ومن ذلك الغنيمة وهي ما يأخذه المجاهد من العدو في المعركة. فبيّن طريقة قسمتها ولم يترك للناس ذلك لئلا يحصل بينهم خلاف، لأن المال في الغالب مما يجلب الخلاف. فوضوحه يزيل الفرقة وأطماع النفس.

وخلاصة الأمر هي بيان قسمه الغنيمة بين ما يكون لله جل وعلا وهو الخمس، وبين ما يكون للمقاتلين وهو أربعة أخماس.

٣- ذكر التوطئة مع اختلاف في ألفاظها.

في قوله تعالى: [مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ] {الأحزاب:٤}

قال ابن عطية:"**والتوطئة** لقوله تعالى: [وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى] {الأحزاب:٤} أي كما ليس لأحد قلبان كذلك ليس دعيه ابنه".(١)

قال ابن جزي:"وقيل: **إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي**، أي كما لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه، كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم اللائي تظاهرون منهن أي تقولون للزوجة: أنت علي كظهر أمي".(٢)

قال ابن كثير: "يقول تعالى **موطئا قبل المقصود المعنوي أمرًا حسيًا معروفًا**، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله: أنت علي كظهر أمي أمًا له، كذلك لا يصير الدعي ولدًا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنًا له، فقال: [مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ] {الأحزاب:٤}، كقوله: [مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا] {المجادلة:٢} ".(٣)

قال أبو السعود:"[مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ] {الأحزاب:٤} شروع في إلقاء الوحي الذي أمر صلى الله عليه وسلم باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى **تمهيدًا لما يعقبه**

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٧)
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٤٥)
(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٧٦)

من قوله تعالى [وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ] {الأحزاب:٤} وتنبيهًا على أن كون المظاهر منها أُما وكون الدعى ابنًا أي بمنزلة الأم والابن في الآثار والأحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف".(١)

قال الشوكاني:"**ثمّ ذكر سبحانه مثلًا توطئةً وتمهيدًا** لما يتعقّبه من الأحكام القرآنيّة، الّتي هي من الوحي الّذي أمره اللّه باتّباعه فقال: [مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ] {الأحزاب:٤}".(٢)

قال محمد صديق خان:"[وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ] {الأحزاب:٤٨} أي اعتمد عليه وفوض أمورك إليه [وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا] أي حافظًا يحفظ من توكل عليه، وقيل: كفيلاً برزقك، وقال الزجاج: لفظه وإن كان لفظ الخبر فالمعنى اكتف بالله وكيلاً، ثم ذكر سبحانه **مثلاً توطئة وتمهيدًا لما يتعقبه من** الأحكام القرآنية التي هي من الوحي الذي أمره الله باتباعه فقال: [مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ] {الأحزاب:٤} ".(٣)

قال تعالى: [مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ] {الأحزاب:٤} توطئة لقوله [وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ] نفي أشياء كانت العرب تعتقدها، من ذلك أن يكون للمرء قلبان، وأن يكون له ابن بالتبني، فأتى الإسلام ونفى ما كانوا يعتقدون من هذه الأشياء وبيّن حكمها.

فتكون مقايسة بين أمرين أحدهما حسي والآخر معنوي فنفي أن يكون للمرء قلبان ونفي التبني.

المبحث الثالث: الصلة بين علم المناسبات وبين التوطئة القرآنية.

علم المناسبات من العلوم المهمة وقد ذكر العلماء أهميته في كتبهم.

قال الزركشي: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء

وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط وقال بعض الأئمة من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا.

وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة."(٤)

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٩٠)

(٢) فتح القدير للشوكاني(٤/ ٣٠٠)

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١١/ ٤٢)

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٥)

قال البقاعي: "فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال. وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة، المطلوب ذلك فيها. ونسبته من علم التفسير، نسبة علم المعاني والبيان من النحو، فهو غاية العلوم".(١)

ومما يبين أوجه التداخل بين التوطئة وعلم المناسبات، ما ذكره د / سلطان السطامي.

قال:" **أوجه التداخل بين التوطئة وعلم المناسبات:**

١. الجملة القرآنية الواحدة تكون غالبًا من علم المناسبات باعتبار ما قبلها، وتكون توطئة باعتبار ما بعدها.
٢. أن أسلوب الاعتراض يكون أحيانًا من باب علم المناسبات، ويكون أحيانًا من باب التوطئة القرآنية.
٣. أن الجملة الاستئنافية تكون أحيانًا من باب علم المناسبات، وتكون أحيانًا من باب التوطئة القرآنية.

أوجه التباين بين التوطئة القرآنية وبين علم المناسبات:

١. أن علم المناسبات بين الآيات قد يكون ظاهرًا في بعض الآيات وقد يكون خفيًا في بعضها الآخر، وكذا الحال بالنسبة للتوطئة القرآنية ولكن وجه التباين بينها هو عدم التلازم فقد تظهر المناسبة وتخفى التوطئة والعكس صحيح.
٢. أن التوطئة القرآنية تلتزم سياقًا واحدًا في ارتباطها بما بعدها وتكون منفصلة عما قبلها وأما علم المناسبات فإن ارتباطه يكون بين آيات متصلة الموضوع أو منفصلة أو متنوعة أو متباعدة في الظاهر.
٣. أن المناسبة بين الآيات القرآنية قد تأتي في معرض النتيجة لما تقدم بخلاف التوطئة القرآنية لا تكون إلا بمثابة المقدمة للنتيجة. (٢)
٤. فظهر من ذلك التقارب الكبير بين علم المناسبات وبين التوطئة القرآنية حيث إن المناسبات هي رابطة بين شيئين والتوطئة كذلك رابطة بين شيئين، لكن لكل منهما خصائصه وطرقه".

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١٤٢)

(٢) الآيات القرآنية الموطئة لغيرها من خلال تفسير التحرير والتنوير وأثرها في المعنى جمعا ودراسة ص ٥٥ ومابعدها

فظهر من ذلك التقارب الكبير بين علم المناسبات وبين التوطئة القرآنية حيث إن المناسبات هي رابطة بين شيئين والتوطئة كذلك رابطة بين شيئين، لكن لكل منهما خصائصه وطرقه.

فالتوطئة مرتبطة بما بعدها إرتباطا كليا لبيان حكم أو مقصد شرعي، بينما المناسبة علم واسع من جهة دلالاته على إرتباط الجمل والمعاني بعضها ببعض.

ففي قوله تعالى: {وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾} [سورة الأنعام:١٤٢]

تجد أن الجملة القرآنية: { كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ } متعلقة بما قبلها وهي قوله : {وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ } من جهة المناسبة ، ومتعلقة بما بعدها وهي قوله { وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾} من جهة التوطئة **الفصل الثاني: أنواع التوطئة القرآنية وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: أنواع التوطئة القرآنية من حيث صيغتها، وتأتي على عدة صيغ:

١. إتيان صيغة التوطئة إما معرفة وإما منكرة فالصيغة للتوطئة على حسب ورودها فأحياناً يذكر المفسر التوطئة ب (ال) أو لا يأتي ب (ال)، والذي يظهر لي أنه لا يؤثر على المعنى سواء أتى ب (ال)أم لم يأت بها.

أ/ ما جاء بصيغة التعريف

في قوله تعالى: [وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾] {البقرة:١٦٣-١٦٤}

قال البقاعي:" فأذن أدنى الإيمان التوجه إلى عبادة من في السماء ترقيًا إلى علو المستوى على العرش إلى غيب الموجود في أسرار القلوب، فكان في هذه التوطئة توجيه الخلق إلى الإله الذي ينزل الماء من السماء وهو الله الذي لم يشرك به أحد سواه ليكون ذلك توطئة لتوحيد الإله، ولذلك ذكر تعالى آية الإلهية التي هي الإحياء، والحياة كل خروج عن الجمادية من حيث إن معنى الحياة في الحقيقة إنما هو تكامل في الناقص".(١)

قوله تعالى: [وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾] توطئة لقوله قال تعالى: [إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(٢/ ٢٩٥)

ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾]

ذكر الله جل وعلا التوحيد، وأن المتفرد بالعبادة هو الله جل وعلا ثم ذكر من المحسوسات ما يدل على أنه وحده المستحق للعبادة، منها ما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية وهي الأشياء، فالآيات تؤكد على المعنى العظيم وهو وحدانية الله، وهذا كثير في القرآن. يدركها من وُفق للهداية.

ب/ الصيغة المنكرة

في قوله تعالى: [يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۚ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ] {البقرة:١٨٩}

قال ابن عثيمين:" قوله تعالى: [وَٱلۡحَجِّۗ] {البقرة:١٨٩} يعني مواقيت للحج؛ لأن الحج أشهر معلومات تبتدئ بدخول شوال، وتنتهي بانتهاء ذي الحجة؛ ثلاثة أشهر؛ وكذلك هي مواقيت للصيام، كما قال تعالى: [فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ] {البقرة:١٨٥}؛ **لكن سياق الآيات توطئة لبيان أشهر الحج**؛ فلهذا قال تعالى: [مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ] {البقرة:١٨٩}؛ ولم يذكر الصيام؛ لأنه سبق".(١)

قوله [يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ] {البقرة:١٨٩} توطئة لقوله [وَٱلۡحَجِّۗ]

الأهلة مواقيت لجميع الأعمال فقوله [يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ] {البقرة:١٨٩} شاملة، فهي شاملة للصيام والحج وسائر الأعمال، لكن ابن عثيمين يرى أن سياق الآيات لا يشمل الصيام لأن الآيات توطئة للحج فالصيام سبق الحديث عنه، ولذا لا يمكن أن تكون الآيات توطئة له، وإنما التوطئة لشي قادم، وهذا سبب عدم ذكر الصيام مع أن الأهلة مواقيت للصيام كما هي مواقيت للحج.

والذي يتأمل في الآيات يجد أن هاتين الفريضتين؛ الصيام والحج وهما من أركان الإسلام ارتبطتا ارتباطاً وثيقاً بالأهلة، فلا يمكن عقد أحدهما إلا بالأهلة، لكن الشيخ جعل التوطئة لبيان أشهر الحج لأن الآيات القادمة في الحج فلفظت [وَٱلۡحَجِّۗ] {البقرة:١٨٩} مما يبين قوة التوطئة للآيات المستقبلة.

وهي علاقة الزمن فكما أن لحوائج الناس ومعاملاتهم أوقاتاً وأهلة فكذلك للحج أوقات وأهلة لا تُتجاوز.

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٦٩)

٢-الصيغة إما أن تأتي بلفظ التوطئة أو أحد مرادفاتها.

أ/ أن تأتي بلفظ التوطئة

في قوله تعالى: [وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ] {التوبة:١٠١}

قال الزمخشري:"وكأن قوله تعالى [مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ] **توطئة لتقرير خفاء حالهم** عنه عليه الصلاة والسلام لما لهم من الخبرة في النفاق والضراوة به والله أعلم".(١)

قال القاسمي:"قال في (الانتصاف) وكأن قوله تعالى: [مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ] **توطئة لتقرير خفاء حالهم** عنه صلّى الله عليه وسلّم لما لهم من الخبرة في النفاق والضراوة به".(٢)

قوله تعالى: [وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ] توطئة لقوله تعالى: [لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ]

بيان حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر وأن المنافق يخفى حاله ولا يظهر منه شيء إلا ما صرح به، وحتى لو صرح بشئ فإنه يأتي بأشياء يعتذر بها ليخفي ما يكنه في صدره، وقد وكل العلم بحالهم إليه سبحانه. وخفي حالهم حتى على رسوله صلى الله عليه وسلم.

النفاق منه ما هو نفاق اعتقادي، ومنه ما هو نفاق عملي والمقصود بالآية هنا النفاق العملي.

وهذا النفاق الذي خفي على النبي صلى الله عليه وسلم هو النفاق الاعتقادي.

ب/ ذكر أحد مرادفاتها

قال تعالى: [وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾] {التين:١-٤}.

قال القاسمي:" فالقسم فيها **كالتمهيد** لقوله بعده:[لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾] {التين:٤} إلى آخر السورة".(٣)

ذكر الله القسم في هذا السورة وفيها إشارة إلى الرسل السابقين عيسى وموسى ونبينا محمد عليهم السلام، وعقب بعده بذكر ما منّ الله به على هذا الإنسان أنه خلقه في أحسن تقويم، فيجب عليه الإيمان وشكر المنعم جل وعلا.

وفضل الإنسان على سائر المخلوقات حيث شرفه الله بأحسن الخلق.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(٢/ ٣٠٦)

(٢) محاسن التأويل (٥/ ٤٨٧)

(٣) محاسن التأويل (٩/ ٥٠٢)

فالعلاقة بين الخلق وبين ما يتوجب عليه، فالله خلق الإنسان في أحسن صورة، وجعل ما يستوجب غاية الخلق من الإيمان بدعوات الرسل عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام.

٣-الصيغة إما أن تأتي صريحة أو محتملة

أ/ تكون التوطئة صريحة

في قوله تعالى: [وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] {البقرة:٢٣٤}

قال ابن عطية:"وهذه الآية فيها معنى الأمر لا لفظه فيحتاج مع هذا التقدير إلى تقدير آخر يستغنى عنه إذا حضر لفظ الأمر، وحسن مجيء الآية هكذا أنها **توطئة لقوله:** [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ]، إذ القصد بالمخاطبة من أول الآية إلى آخرها الرجال الذين منهم الحكام والنظرة. انتهى كلامه".(١)

قال تعالى: [وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] {البقرة:٢٣٤} **توطئة لقوله** تعالى: [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ]

بيان مقدار العدة للمتوفى عنها زوجها وأن هذه الآية ناسخة لقوله: [وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {البقرة:٢٤٠} وأن الأولياء هم المسئولون عن مولياتهم، ومع ذلك لايحق لهم منعهن مما فيه مصلحتهن كالزواج.

لأن هذا المعنى قد جاء في الآية الأخرى المتأخرة المنسوخة، فهو جاء توطئة لما يتبعه من كلام.

وقوله تعالى في أول الامر [ٱلَّذِينَ] المقصود به الأزواج الذين قبضوا وبقيت نساؤهم فهذه المرأة تجلس العدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام هو حق للزوج، وأيضا لبراءة رحمها خشية أن تكون حاملاً فتختلط الأنساب إذا تزوجت.

وهو يبين أن المقصود الحكم الشرعي الوارد فيمن توفي زوجها وهذا من بلاغة القرآن.

فهي علاقة بين الحكم الشرعي وبين من يوجه إليه ذلك الحكم وهم الأولياء.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(١/٣١٣- ٣١٤)

ب/ محتملة

في قوله تعالى: [ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾] {البقرة:١٩٧}.

قال ابن عاشور:" والمقصود من قوله: [ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ] **يحتمل أن يكون تمهيدا** لقوله: [فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ] {البقرة:١٩٧} تهوينا لمدة ترك الرفث والفسوق والجدال، لصعوبة ترك ذلك على الناس". (١)

يرى ابن عاشور، أن "قوله: [ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ] {البقرة:١٩٧} يحتمل أن يكون تمهيدا لقوله: [فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ] {البقرة:١٩٧} مبينا علاقة ذلك بقوله فلا رفث ولا فسوق، وسبب هذا الاحتمال عنده أن جاء تهوينا لمدة ترك الرفث والفسوق والجدال، لصعوبة ترك ذلك على الناس مع طول الوقت، وهذه التوطئة القرآنية جاءت في سياق ضبط النفس أثناء عبادة الحج، من أجل أداءه على الوجه المشروع وحصول الثواب المترتب عليه، كما قال فيه النبي ﷺ: «من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»" (٢).

فهذه الآية فيها مقدمة تمهيدية إخبارًا عن مواقيت عبادة الحج الزمانية كما أن لها مواقيتًا مكانية، وهذه المواقيت الزمانية لها حرمتها وهي شهر شوال وذي القعدة وذي الحجة، وهذه المدة من هذه الأشهر هي بداية الدخول في النسك، والذي يدفع بالعبد إلى تلمس الأعمال الفاضلة فيه والبعد عن كل ما ينقص العمل، ولذا جاءت الشريعة بالنص على النهي عن الرفث ومقدماته والفسوق بكل أنواعه والجدال العقيم الذي يوغر الصدور ويورث العداوات بين الحجاج والمعتمرين.

فالقرآن له منهج في طريقة تهذيب النفوس وتعويدها على ترك بعض المخالفات في أحوال محددة لتتعود النفوس ذلك بقية أوقاتها.

فالتقوى هي الواقي من الوقوع في مثل هذه الدركات من الرفث والفسوق والعصيان.

وجوهر وحكم هذه الأشهر الحرم وحكمة ارتباطها بالعبادة: أن أشهر الحج الثلاث هي من حرمة العبادة وشرفها، فالعبادة التي لها مقدمات وأيام يدل ذلك على عظمة العبادة وأنها موطن تنافس بين العباد.

فهي علاقة بين منهيات الحج والأثر الباعث لتجنبها.

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الحج المبرور برقم (١٥٢١) (٢/ ١٣٣).ومسلم، كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة برقم (١٣٥٠) (٢/ ٩٨٤)

المبحث الثاني: أنواع التوطئة القرآنية من حيث موضوعاتها.

أنواعها تفسيرية ولغوية وعقدية هذه ثلاثة أنواع من الموضوعات البارزة في التوطئة:

١. تفسيرية

في قوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾] {البقرة:٢٤٣}

قال ابن عجيبة:"ثم حذّر من الفرار من الموت، توطئة للترغيب فى الجهاد".(١)

قال ابن عطية:"وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد بالجهاد. هذا قول الطبري، وهو ظاهر رصف الآية".(٢)

قوله: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾] {البقرة:٢٤٣-٢٤٤} توطئة لقوله [وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾] {البقرة:٢٤٤}

فالمراد أن الموت والأجل لايؤخره الجهاد والقتال كما قال جل وعلا، ولذلك العاقل من يسير على الطريق الصحيح ولا يعيقه أي شي لأن الأعمار بيد الله وهو من يقدر الحياة والموت.

أن الجهاد والقتل في سبيل الله هو الشرف.

فالموت يأتي لامحالة، فمن مات بعز فهو الناجي ومن مات بذل فهو المغبون. فلا تدع العزة مهما كانت وهذه هي التربية القرآنية للصحابة رضوان الله عليهم.

فهي علاقة بين أداء العبادة (الجهاد) وبين الوهم الملازم لتركه.

٢. لغوية

قال تعالى: [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾] {آل عمران:١٨-١٩}

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(١/ ٢٦٨)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٢٨)

قال ابن القيم: "وقوله [أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] {آل عمران:١٨} **توطئة للثانية وتمهيد.** ويكون هذا من البدل الذي الثاني فيه نفس الأول. فإن الدين الذي هو نفس الإسلام عند الله، هو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها."(١)

قوله تعالى: [شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] توطئة لقوله [إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ] {آل عمران:١٩}

وما ذكره المؤلف أن الجملة الموطِئة والجملة الموطَئة أن معناهما واحد وهي بدل.

فهي علاقة بين كلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله وبين الدين، والشهادة جزء من الدين.

٣. عقدية

في قال تعالى: [أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ] {الزمر:٢٢}

قال السمعاني: "وقوله: [فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ] {الزمر:٢٢} يحتمل أن يكون النّور قبل أن يسلم، ويحتمل أن يكون بعد الإسلام، ثمرة إسلامه، وأما شرح الصّدر: **هو التوطئة للإسلام والتمهيد له.**"(٢)

[أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ] {الزمر:٢٢} **توطئة لقوله** [لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ] {الزمر:٢٢}

شرح الله صدر من شاء من عبادة للإسلام وقبول الحق، وصرف من شاء عن الحق.

أن الصدر والمراد به القلب هو مكان الانشراح وقبول الحق أو رده، فلا يهمل المؤمن قلبه، بل يكون مهتمًا به، ويدعو ربه بثبات القلب على الحق.

هي علاقة بين وقوع الأمر، وذكر ما يشهد له، فالدخول في الإسلام غاية، وانشراح الصدر شاهد لذلك.

المبحث الثالث: أنواع التوطئة القرآنية من حيث تعلقها بالسور والآيات.

التوطئة الواردة تأتي على أنواع، وللحديث عن هذه الأنواع فقد حصرتها في سبعة أنواع:

١. آية موطئة لآية.
٢. جزء من آية موطئة لجزء من الآية نفسها.
٣. جزء من آية موطئة موطئة لجزء من آية أخرى.
٤. آية من سورة موطئة لآية من سورة أخرى.

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ص:(٢٠٣)
(٢) تفسير السمعاني(٤/ ٤٦٥)

٥. مجموعة من الآيات موطئة لآية.
٦. آية موطئة لمجموعة من الآيات.
٧. آيات موطئة لمجموعة من الآيات.

النوع الأول: آية موطئة لآية.

في قوله تعالى: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦] {الفاتحة:٥-٦}

قال أبو حيان: وإياك التفات لأنه انتقال من الغيبة، إذ لو جرى على نسق واحد لكان إياه. والانتقال من فنون البلاغة، وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم، ومن الخطاب للغيبة أو التكلم، ومن التكلم للغيبة أو الخطاب .... "فتقول له: إياك أقصد، فيكون في هذا الخطاب من التلطف على بلوغ المقصود ما لا يكون في لفظ إياه، **ولأنه ذكر ذلك توطئة للدعاء في قوله [اهْدِنَا] {الفاتحة:٦}**".(١)

يرى أبو حيان أن قوله: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥] {الفاتحة:٥} توطئة لقوله[اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦] {الفاتحة:٦}.

وهذه التوطئة جاءت في بيان دعاء الله الهداية إلى الصراط المستقيم.

ففي أول سورة الفاتحة يلاحظ أن السياق القرآني كان بضمير الغيبة فلما وصل إلى قوله تعالى [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] تم الالتفات من الغيبة (إياه) إلى الخطاب (إياك) لأمرين ذكرهما أبو حيان:

الأول: التلطف في حصول المقصود وهو الهداية.

الثاني: توطئة لقوله [اهْدِنَا] {الفاتحة:٦} وهي مناسبة لفظية فإن القاري لسورة الفاتحة حين يقول (إياه نعبد وإياه نستعين) فلما أراد أن يطلب لنفسه الهداية التفت من الغيبة إلى الخطاب لمناسبة قوله [اهْدِنَا] {الفاتحة:٦} فقوله [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥] {الفاتحة:٥} لمن تأملها وجد التهيئة لما يأتي بعدها وهو الدعاء بالهداية وحاجة العبد إلى الدعاء بالهداية مهمة، فلا يمكن أن يعبد الله ويستعين به من لم يوفق للهداية.

الترابط الوثيق لمن تأمل الآيتين قوله: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] {الفاتحة:٥} و [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥] {الفاتحة: ٦}

وإن كان أبو حيان يرى أنها مناسبة لفظية إلا أن فيها معنى ظاهرًا وهو التهيئة لما يأتي بعدها وهو سؤال الله الهداية إلى صراطه المستقيم واستحضار العبودية لله جل وعلا.

(١) البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٢- ٤٣)

فهي الدعاء إلى صراط الله المستقيم، وأن لايكل الإنسان إلى نفسه بل يعتمد على الله.

النوع الثاني: جزء من آية موطئة لجزء من الآية نفسها.

في قوله تعالى: [ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ] {الفاتحة:٦-٧}

قال أبو حيان: "والمقصود طلب الهداية إلى صراط من ثبت إنعام الله عليه وتحقق ذلك، وكذلك أتى بالفعل ماضيا وأتى بالاسم في صلة أن ليشمل سائر الأزمان، وبناه للمفعول، لأن من طلب منه الهداية ونسب الإنعام إليه لا يناسب نسبة الغضب إليه، لأنه مقام تلطف وترفق وتذلل لطلب الإحسان، فلا يناسب مواجهته بوصف الانتقام،[1] **وليكون المغضوب توطئة لختم السورة بالضالين** لعطف موصول على موصول مثله لتوافق آخر الآي. والمراد بالإنعام، الإنعام الديني، والمغضوب عليهم والضالين عام في كل من غضب عليه وضل.[2]

قوله: [غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ] {الفاتحة:٧} توطئة لقوله [وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧] {الفاتحة:٧}

كلام أبي حيان حول الآية من وجهين:

١-أن المقام مقام تلطف وترفق لطلب رضاه.

٢-موافقة رؤوس الآي.

أما الوجه الأول: أن الله جل وعلا نسب الإنعام إلى نفسه في قوله [أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ] {الفاتحة:٧}، وفي قوله [غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ] {الفاتحة:٧} بناه للمفعول لم يقل غضب لأنه ختم الآية بالضالين، ولم ينسب الضلال لنفسه. وكذلك هو مقام تلطف وترفق لطلب رضاه.

الوجه الثاني: أن المغضوب عليهم توطئة للضالين (وللضالين) موافق لرؤوس الآي، وعلل ذلك بعطف الموصول على موصول مثله لموافقة آخر الآي، وهي مناسبة لفظية لكن لها دلالة معنوية.

ومراد أبي حيان أنه لم يقل غضبت عليهم وضللتهم فذكره للبناء لما لم يسم فاعله ولأن الضلال مثله ومن تأمل في ذلك وجد أن الله نسب إليه الغضب والضلال كما في قوله سبحانه في الغضب [فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٠٦] {النحل:١٠٦} وقوله في الضلال [أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ] {النساء:٨٨}.

---

(١) تفسير لصفة الغضب وصفا بالانتقام أو إرادة الانتقام تأويل للفظ وصرف له وقال به الأشاعرة وغيرهم والواجب وصفه سبحانه صفة تليق بجلاله وعظمته. قال الطحاوي: ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام – فإن هذا نفي للصفة. شرح الطحاوية (ص: ٤٧٢)

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٢)

الجامع بين المعطوف "الضالين" والمعطوف عليه "المغضوب عليهم" وأن كليهما يتفقان في شيء واحد هو رد الحق والحيد عن الصراط المستقيم.

واتفاق الفريقين في بُعدهم عن الله لكن الله جل وعلا وصف كل فريق بالصفة التي هي أقرب له.

وهذه التوطئة جاءت لبيان تجنب طريق المغضوب عليهم والضالين.

فهي تجنب طريق الباطل وإن اختلفت طرقه وأساليبه.

النوع الثالث: جزء من آية موطئة موطئة لجزء من آية أخرى.

في قوله تعالى: [وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾] {يوسف:٦٥}

قال تعالى: [فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾] {يوسف:٧٠}

قال ابن عطية: وقولهم: [هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا] {يوسف:٦٥} يكشف أن يوسف لم يقصد هذا وإنما قصد أن يستميلهم ويصلهم، فيرغبهم في نفسه كالذي كان وخص البضاعة بعينها– دون أن يعطيهم غيرها من الأموال– لأنها أوقع في نفوسهم، إذ يعرفون حلها، وماله هو إنما كان عندهم مالا مجهول الحال، غايته أن يستجاز على نحو استجازتهم قبول الميرة ويظهر أن ما فعل يوسف من صلتهم، وجبرهم في تلك الشدة كان واجبا عليه، إذ هو ملك عدل وهم أهل إيمان ونبوة وقيل: علم عدم البضاعة والدراهم عند أبيه، فرد البضاعة إليهم لئلا يمنعهم العدم من الانصراف إليه **وقيل: جعلها توطئة لجعل السقاية في رحل أخيه بعد ذلك، ليبين أنه لم يسرق لمن يتأمل القصة.**(١)

وبمثله قال الثعالبي، وأبوحيان.(٢)

قال تعالى: [هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا] {يوسف:٦٥} توطئة لقوله تعالى: [جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ] {يوسف:٧٠}

رد يوسف البضاعة بنفسها لأجل أن يكون سببًا لرجوعهم بعد ذلك، ورده لهم لما علم من حاجتهم وفقرهم، وهو ملك عادل وصاحب إيمان، وجعل ذلك ليكون فيه سببًا لجعل البضاعة في رحل أخيه بعد ذلك.

(١) [المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٢٥٩]

(٢) [الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٣/ ٣٣٦] البحر المحيط في التفسير(٦/ ٢٩٤)

فعل يوسف الشيء الذي به يستبقي أخاه عنده، مع أن ذلك يحزن يعقوب عليه السلام ولكن ذلك لحكمة يعلمها الله وهو جمع شملهم بعد ذلك في مصر.

فهي رد البضاعة وبين جعل الصواع وذلك لأجل استبقاء أخيه.

النوع الرابع: آية من سورة موطئة لآية من سورة أخرى.

في قوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] {البقرة:٢٥٤}

قال تعالى: [ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ] {آل عمران:١٧}

قال البقاعي:" وفي الآية التفات شديد إلى أول السورة حيث وصف المؤمنين بالإنفاق [وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣] [سورة البقرة:٣] والإيقان بالآخرة، وبيان لأن المراد بالإنفاق أعم من الزكاة وأن ذلك يحتمل جميع وجوه الإنفاق من جميع المعادن والحظوظ التي تكسب المعالي وتنجي من المهالك، وسيأتي في الآيات الحاثّة على النفقة ما يرشد إلى ذلك كقوله تعالى [إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ] {البقرة:٢٧١} وغيرها وقال الحرالي: فانتظم هذا الانتهاء في الخطاب بما في ابتداء السورة من [ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ] {البقرة:٣} إلى قوله [ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥] {البقرة:٥} فلذلك وقع بعد هذا الانتهاء افتتاح آية هي سيدة آي هذه السورة المنتظمة بأولها انتظامًا معنويًا برأس [الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ] {البقرة:١-٢} **فكان في إشارة هذا الانتظام توطئة لما أفصح به الخطاب في فاتحة سورة** آل عمران، لما ذكر من أن القرآن مثاني إفهام وحمد. فكان أوله حمدًا وآخره حمدًا ينثني ما بين الحمدين على أوله، كما قال «حمدني عبدي، أثنى عليّ عبدي» فجملته حمد وتفاصيله ثناء".(١)

قوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ] {البقرة:٢٥٤} [وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] {البقرة:٢٥٤} توطئة لقوله: [ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ۝١٧] {آل عمران:١٧}

وهذا فيه إشارة إلى ما افتتحت به أول سورة البقرة من الكلام حيث وصف المؤمنين بالإنفاق مما رزقهم والإيقان بالآخرة فقال تعالى: [ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ] {البقرة:٣} وبيان لأن المراد بالإنفاق أعم من الزكاة وأن ذلك يحتمل جميع وجوه الإنفاق فكان فيه إشارة لما أفصح به الخطاب في فاتحة سورة آل عمران فقال جل وعلا [ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ۝١٧] {آل عمران:١٧}.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(٤/ ٢٤)

النفقة أعم من الزكاة سواء أكانت واجبة أو مستحبة، وهذا من الألفاظ العامة ومما يدل على سعة الشريعة الإسلامية وسعة اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

فالإنفاق في سبيل الله ليس خاصًا بالإنفاق، فهو يشمل جميع وجوه الخير سواء أكان واجبًا أم صدقة فهو خير وأبقى.

النوع الخامس: مجموعة من الآيات موطئة لآية.

في قوله تعالى: [وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢] {المائدة:٢٧-٣٢}

قال البقاعي:" وقد علم بهذا أن قصة ابني آدم مع شدة التحامها **بما قبل توطئة لما بعد**، وتغليظُ أمر القتل تقدم عن التوراة في سورة البقرة".(١)

قوله تعالى: [وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ] {المائدة:٢٧} وما بعدها توطئة لقوله [مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا] {المائدة:٣٢}

فذكر ما حصل بين ابني آدم من الحسد الذي أودى بأن أحدهما يقتل الآخر، ثم أعقبه بذكر خطورة القتل وأن قتل النفس الواحدة كقتل جميع الناس وهذا فيه تغليظ ووعيد.

خطورة قتل النفس المعصومة، وأن من قتل نفسًا واحدة بغير حق كمن قتل الناس جميعًا، وذكر قصة ابني آدم للعظة والعبرة.

فالله جل وعلا ذكر قصة ابني آدم، وذلك تمهيدًا لبيان خطورة قتل النفس، وجعل من قتل نفسًا واحدة كمن قتل جميع الأنفس.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(٦/ ١٢٦)

النوع السادس: آية موطئة لمجموعة من الآيات.

قال تعالى: [وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾] {الزخرف:٩-١٤}.

قال ابن عطية:" وقوله تعالى: **[وَلَئِن سَأَلْتَهُم]** الآية ابتداء احتجاج على قريش يوجب عليهم التناقض في أمرهم، وذلك أنهم يقرون أن الخالق الموجد لهم وللسماوات والأرض هو الله تعالى، وهم مع ذلك يعبدون أصنامًا ويدعونها آلهتهم، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا «خلقهن الله» فلما ذكر تعالى المعنى جاءت العبارة عن الله ب: **[ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ] ليكون ذلك توطئة لما عدد بعد من أوصافه** التي ابتدأ الإخبار بها وقطعها من الكلام الذي حكى معناه عن قريش".[1]

وبمثله قال أبو حيان، والثعالبي.[2]

قوله تعالى: [وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ] توطئة لقوله تعالى: [ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾] {الزخرف:١٠} وما بعدها.

المشركون يقرون بأن الله هو الخالق للسموات والأرض، ومع ذلك يعبدون غيره من الأصنام والآلهة، فأنكر الله عليهم ذلك.

تناقض المشركين في إقرارهم بقدرة الله جل وعلا من خلق البشر، وخلق السموات والأرض وغيرها من الآيات الدالة على وحدانية الله جل وعلا، ومع ذلك يعبدوا غيره.

فهي علاقة بين الإقرار بالأمر، وبيان موجباته، فالإقرار بالرب سبحانه متعين في الفطر وجميع مخلوقاته موجبة لذلك.

النوع السابع: آيات موطئة لمجموعة من الآيات.

في قوله تعالى: [ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾] {يونس:٧٥}، وما بعدها .

[وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾] {يونس:٨٤} وما بعدها

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٥/ ٤٦)

(٢) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٦٠) الجواهر الحسان في تفسير القرآن(٥/ ١٧٤)

قال المراغي:" بعد أن ذكر سبحانه ما فعله فرعون لمقاومة دعوة سيدنا موسى– قفى على ذلك بذكر ما كان من بنى إسرائيل مع موسى **توطئة لإخراجهم من أرض مصر**".(١)

قال الشيخ محمد الأمين الهرري الشافعي:" قوله تعالى: [وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾] {يونس:٨٤} الآية، مناسبة هذه الآيات لما قبلها، لما ذكر الله سبحانه وتعالى ما فعله فرعون لمقاومة دعوة موسى .. أردف ذلك بذكر ما كان من بني إسرائيل مع موسى، **توطئةً لإخراجهم من أرض مصر**".(٢)

قال الزحيلي:"المناسبة: أبان الله تعالى أنه بالرّغم من مشاهدة المعجزات الباهرة على يد موسى عليه السّلام، فإنه لم يؤمن به من بني إسرائيل إلا طائفة من شبّان قومه، **توطئة لإخراجهم من أرض مصر**. وفي ذلك تسلية للنّبي محمد صلى الله عليه وسلّم لأنه كان يغتم بسبب إعراض القوم عنه واستمرارهم على الكفر، فله في سائر الأنبياء أسوة".(٣)

قوله تعالى [ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ] {يونس:٧٥}، توطئة لقوله [وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾] {يونس:٨٤} وما بعدها.

حصل بين موسى وفرعون صراع طويل دام سنوات طويلة، تعرض فيها موسى وقومه للنكال والعذاب من فرعون وملإه، ثم بعد ذلك حصل من قوم موسى مع موسى ما كان سببًا لإخراجهم من أرض مصر، وما يذكره الله جل وعلا من هذه الآيات تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، فإذا عرف النبي صلى الله عليه وسلم ما حصل للأنبياء قبله من أذى من أقوامهم كان سببًا لصبر النبي صلى الله عليه وسلم.

المخالفة لأوامر الله جلا وعلا سبب لحرمان الرزق والجلاء من الأرض المباركة إلى أقل منها.

فبيان ما فعله موسى مع فرعون وملإه وما حصل من إخراج بني إسرائيل من أرض مصر.

(١) تفسير المراغي(١١/ ١٤٤)

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٢/ ٣١٤)

(٣) التفسير المنير للزحيلي (١١/ ٢٤٤)

الفصل الثالث: التوطئة القرآنية عند المفسرين وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اهتمام المفسرين بالتوطئة.

اهتم المفسرون بالتوطئة القرآنية فقد أوردها جمع من المفسرين في كتبهم منهم ابن جرير الطبري (ت ٣١٠) وحتى زماننا هذا.

وتكلم عن التوطئة كبار المفسرين كالسمعاني (ت ٤٨٩) الزمخشري ت (٥٣٨) ابن عطية (ت ٥٤٢) القرطبي (ت ٦٧١) ابن كثير (ت ٧٧٤) البقاعي (ت ٨٨٥) أبي السعود (ت ٩٨٢) الألوسي (ت ١٢٧٠) ابن عاشور (ت ١٣٩٣) ابن عثيمين (ت ١٤٢١) وغيرهم.

المبحث الثاني: طريقة المفسرين في عرض التوطئة القرآنية.

بعض المفسرين يذكر التوطئة صريحة كقول (توطئة – تمهيدًا – مفتاح الكلام وغيرها)

في قوله تعالى: [كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾] {المطففين: ١٤-١٧}

قال نعمة الله علوان:" [كَلَّا] ردعًا لهم بعد ردع تقريعًا وتأكيدًا، **وليكون توطئة وتمهيدًا لتعقيب** وعيدهم بوعد المؤمنين".(١)

وأحيانًا تكون غير صريحة ولها صيغ، أذكر منها:

١- فربما عبر بعضهم بقوله (ويجوز أن تكون)

في قوله تعالى: [أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا] {البقرة: ٤٠-٤٤}

قال ابن عاشور:" وقد يرى الإنسان عيب غيره لأنه يشاهده ولا يرى عيب نفسه لأنه لا يشاهدها، ولأن العادة تنسيه حاله. ودواء هذا النسيان هو محاسبة النفس فيكون البر راجعا إلى جميع ما تضمنته الأوامر السابقة من التفاصيل فهم قد أمروا غيرهم بتفاصيلها ونسوا أنفسهم عند سماعها وذلك يشمل التصديق بدين الإسلام لأنه من جملة ما تضمنته التوراة التي كانوا يأمرون الناس بما فيها. وجملة: وتنسون أنفسكم يجوز أن تكون حالا من ضمير تأمرون أو يكون محل التوبيخ والتعجب هو أمر الناس بالبر بقيد كونه في حال نسيان، **ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على تأمرون وتكون هي المقصودة من التوبيخ والتعجيب ويجعل قوله: أتأمرون الناس تمهيدا لها على معنى أن محل الفظاعة الموجبة**

(١) [الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ٢/ ٤٩٣]

للنهي هي مجموع الأمرين. وبهذا تعلم أنه لا يتوهم قصد النهي عن مضمون كلا الجملتين إذ القصد هو التوبيخ على اتصاف بحالة فظيعة ليست من شيم الناصحين لا قصد تحريم فلا تقع في حيرة من تحير في وجه النهي عن ذلك ولا في وهم من وهم فقال: إن الآية دالة على أن العاصي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر كما نقل عنهم الفخر في «التفسير» فإنه ليس المقصود نهي ولا تحريم وإنما المقصود تفظيع الحالة ويدل لذلك أنه قال في تذييلها أفلا تعقلون ولم يقل أفلا تتقون أو نحوه".(١)

٢- وربما جاءت بصيغة تدل على الاحتمال مثل قوله يحتمل أن يكون.

في قوله تعالى: [ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾] {البقرة:١٩٧}.

قال ابن عاشور:" والمقصود من قوله: [ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ] {البقرة:١٩٧} **يحتمل أن يكون تمهيدا** لقوله: [فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ] {البقرة:١٩٧} تهوينا لمدة ترك الرفث والفسوق والجدال، لصعوبة ترك ذلك على الناس. (٢)

٣- أو يذكر احتمالين ويرجح أحدهما

في قوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا] {البقرة:٢٨٢}.

قال ابن عثيمين:"قوله تعالى: [فَلْيَكْتُبْ] ؛ الفاء للتفريع: واللام لام الأمر؛ ولكنها سكنت؛ لأنها وقعت بعد الفاء؛ وموضع: [فَلْيَكْتُبْ] مما قبلها في المعنى قال بعض العلماء: إنها من التوكيد؛ لأن النهي عن إباء الكتابة يستلزم الأمر بالكتابة؛ فهي توكيد معنوي؛ وقيل: بل هي تأسيس تفيد الأمر بالمبادرة إلى الكتابة، أو **هي تأسيس توطئة لما بعدها**؛ والقاعدة: أنه إذا احتمل أن يكون الكلام توكيدًا، أو تأسيسًا، حمل على التأسيس؛ لأنه فيه زيادة معنى؛ وبناءً على هذه القاعدة يكون القول بأنها تأسيس أرجح". (٣)

٤-أو يذكر بصيغة الاحتمال "لعل".

قال تعالى: [وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾] {النساء:٣}.

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٧٦)

(٢)التحرير والتنوير (٢/ ٢٣١).

(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٤٠٤)

قال ابن عاشور:" وقد دل على ذلك قوله بعد: فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة. والظاهر أن تحريم الزيادة على الأربع مستفاد من غير هذه الآية لأن مجرد الاقتصار غير كاف في الاستدلال ولكنه يستأنس به، وأن هذه الآية قررت ما ثبت من الاقتصار، على أربع زوجات كما دل على ذلك الحديث الصحيح: أن غيلان بن سلمة أسلم على عشر نسوة فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم: «أمسك أربعا وفارق سائرهن». (١)

ولعل الآية صدرت بذكر العدد المقرر من قبل نزولها، تمهيدا لشرع العدل بين النساء، فإن قوله: [فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً] صريح في اعتبار العدل في التنازل في مراتب العدد ينزل بالمكلف إلى الواحدة. فلا جرم أن يكون خوفه في كل مرتبة من مراتب العدد ينزل به إلى التي دونها.(٢)

المبحث الثالث:التوطئة القرآنية عند المفسرين من بداية التدوين إلى عصرنا الحاضر.

اهتم المفسرون بالتوطئة، ودليل ذلك أنه أورد التوطئة جمع من المفسرين وقد مر في هذا البحث ممن ذكر التوطئة سبعة وأربعون مفسرا.

ومما يبين تسلسل التوطئة ومتابعة اللاحق السابق

ونذكر مثالاً يبين نقل أبو حيان عن القرطبي والقرطبي عن ابن عطية

في قوله تعالى: [وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾] {المائدة:٢٠-٢٢}

قال ابن عطية:" وهذه المقالة من موسى **توطئة لنفوسهم** حتى يتعزز ويأخذ الأمر بدخول أرض الجبارين بقوة، وتنفذ في ذلك نفوذ من أعزه الله ورفع شأنه".(٣)

قال القرطبي:"وهذه المقالة من موسى **توطئة لنفوسهم** حتى تعزز وتأخذ الأمر بدخول أرض الجبارين بقوة، وتنفذ في ذلك نفوذ من أعزه الله ورفع من شأنه".(٤)

قال أبو حيان:"وهذه المقالة من موسى لبني إسرائيل وتذكيرهم بنعم الله هي **توطئة لنفوسهم،** وتقدم إليهم بما يلقي من أمر قتال الجبارين ليقوى جأشهم، وليعلموا أن من أنعم

(١)أخرجه الترمذي في سننه برقم (١١٢٨) (٣/ ٤٢٧) وابن ماجه في سننه برقم (١٩٥٣) (١/ ٦٢٨) وأحمد في مسنده برقم(٤٦٠٩) (٨/ ٢٢١) ومالك في الموطأ برقم (٧٦) (٢/ ٥٨٦) قال الألباني:[صحيح] الإرواء (١٨٨٣) ، المشكاة (٣١٧٦)

(٢) التحرير والتنوير (٤/ ٢٢٥)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٢/ ١٧٤)

(٤) تفسير القرطبي(٦/ ١٢٥)

الله عليه بهذه النعم العظيمة لا يخذله الله، بل يعليه على عدوه ويرفع من شأنه، ويجعل له السلطنة والقهر عليه".(١)

قال الشوكاني:"والصواب ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أنه من كلام موسى لقومه، وخاطبهم بهذا الخطاب **توطئة وتمهيدًا** لما بعده من أمره لهم بدخول الأرض المقدسة".(٢)

الفصل الرابع: أثر التوطئة القرآنية في المعنى عند المفسرين وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر التوطئة القرآنية في المعنى التفسيري.

قال تعالى: [وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] {البقرة:٢٣٤}

قال ابن عطية:"وهذه الآية فيها معنى الأمر لا لفظه فيحتاج مع هذا التقدير إلى تقدير آخر يستغنى عنه إذا حضر لفظ الأمر، وحسن مجيء الآية هكذا أنها **توطئة لقوله:** [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ] {البقرة:٢٣٤}، إذ القصد بالمخاطبة من أول الآية إلى آخرها الرجال الذين منهم الحكام والنظرة".(٣)

فقوله تعالى: [وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ] {البقرة:٢٣٤} **توطئة لقوله** تعالى: [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ]

لأن هذا المعنى قد جاء في الآية الأخرى المتأخرة المنسوخة، فجاء توطئة لما يتبعه من كلام.

قوله تعالى في أول الامر [ٱلَّذِينَ] المقصود به الأزواج الذين قبضوا وبقيت نساؤهم فهذه المرأة تجلس العدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام هو حق للزوج وأيضا لبراءة رحمها خشية أن تكون حاملاً فتختلط الأنساب إذا تزوجت.

ومما يبين أن المقصود الحكم الشرعي الوارد فيمن توفي زوجها وهذا من بلاغة القرآن.

وبيان مقدار العدة للمتوفى عنها زوجها وأن هذه الآية ناسخة لقوله [وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {البقرة:٢٤٠} وأن الأولياء هم المسئولون عن مولياتهم ومع ذلك لايحق لهم منعهن مما فيه مصلحتهن كالزواج.

(١) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٢١٦)

(٢) فتح القدير للشوكاني(٢/ ٣٢)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(١/٣١٣- ٣١٤)

فهي علاقة بين الحكم الشرعي وبين من يوجه إليه ذلك الحكم وهم الأولياء.

المبحث الثاني: أثر التوطئة القرآنية في الترجيح بين أقوال المفسرين.

التوطئة أحيانا تكون سببًا للترجيح بين الأقوال ومن ذلك

قال تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا] {البقرة:٢٨٢}

قال ابن عثيمين: قوله تعالى: [فَلْيَكْتُبْ] ؛ الفاء للتفريع: واللام لام الأمر؛ ولكنها سكنت؛ لأنها وقعت بعد الفاء؛ وموضع: [فَلْيَكْتُبْ] مما قبلها في المعنى قال بعض العلماء: إنها من التوكيد؛ لأن النهي عن إباء الكتابة يستلزم الأمر بالكتابة؛ فهي توكيد معنوي؛ وقيل: بل هي تأسيس تفيد الأمر بالمبادرة إلى الكتابة، أو **هي تأسيس توطئة لما بعدها**؛ والقاعدة: أنه إذا احتمل أن يكون الكلام توكيدًا، أو تأسيسًا، حمل على التأسيس؛ لأنه فيه زيادة معنى؛ وبناءً على هذه القاعدة يكون القول بأنها تأسيس أرجح. (١)

قوله تعالى: [فَلْيَكْتُبْ] توطئة لقوله: [وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ]

هذا من المواضع المحتملة.

في هذه الآية وهي آية الدَّين أطول آية في كتب الله جل وعلا فقد ذكر فيها عدة مسائل منها الكلام عن كتابة الدَّين وعن مسائل أخرى، ومن المسائل التي يجدر الكلام عنها الدَّين وكتابته وهو من الأمور المهمة.

من المسائل التي اختلف العلماء فيها وهو الأمر بكتابة الدَّين على قولين:

١-الأمر بكتابة الدَّين واجبة

قال الطبري: "قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله عز وجل أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل، وأمر الله فرض لازم، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد وندب. ولا دلالة تدل على أن أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب في ذلك، وأن تقدمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك، ندب وإرشاد، فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه، ومن ضيعه منهم كان حرجا بتضييعه."(٢)

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٤٠٤)

(٢) جامع البيان (٦/ ٥٣)

قال ابن عاشور: "والقصد من الأمر بالكتابة التوثق للحقوق وقطع أسباب الخصومات، وتنظيم معاملات الأمة، وإمكان الاطلاع على العقود الفاسدة. والأرجح أن الأمر للوجوب فإنه الأصل في الأمر، وقد تأكد بهذه المؤكدات."(١)

٢-أن الأمر للندب وليس للوجوب

قال السمعاني: "[وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ] {البقرة:٢٨٢} قيل: الكتابة واجبة على الكتبة لظاهر الآية، والأصح أنه على الندب."(٢)

وبمثله قال جمع من العلماء.(٣)

والذي يظهر أن الأمر للندب.

قال ابن عثيمين: "ومنها: تحريم امتناع الكاتب أن يكتب كما علمه الله؛ لقوله تعالى: [وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ] {البقرة:٢٨٢} ؛ ولهذا أكد هذا النهي بالأمر بالكتابة في قوله تعالى [فَلْيَكْتُبْ] – هذا ظاهر الآية – ويحتمل أن يقال: إنْ توقف ثبوت الحق على الكتابة كانت الكتابة واجبة على من طلبت منه؛ وإلا لم تجب، كما قلنا بوجوب تحمل الشهادة إذا توقف ثبوت الحق عليها."(٤)

فكتابة الدَّين أمر مندوب وهو ما عليه جمهور العلماء.

فبالتوطئة يرجح القول الثاني.

المبحث الثالث: أثر التوطئة القرآنية في تفسير آيات الأحكام عند المفسرين.

في قوله تعالى: [شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] {البقرة:١٨٥}

قال البقاعي: "وللإشارة بهذا المعنى يتلى كلمة قل، في القرآن ليكون إفصاحًا لسماع كلام الله سبحانه وتعالى ممن سمع كائنًا من كان، وفي إشعاره إهزاز القلوب والأسماع إلى نداء الحج إثر الصوم، لأنه جعل تعالى أول يوم من شهور الحج إثر يوم من أيام الصوم، فكأن منادي الله ينادي يوم الفطر بالحج، ففي خفي إشارته إعلاء نداء إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي تقدم أساس أمر الإسلام على حنيفيته وملته، **وليكون في هذه الآية الجامعة**

(١) التحرير والتنوير (٣/ ١٠٠)

(٢) تفسير السمعاني (١/ ٢٨٣)

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٧٩)أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٦٥)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤/ ١٥٠)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ١٨٤)

(٤) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٤١٢)

توطئة لذكر الحج لما تقدم من أن هذه السورة تنتظم جوامعها خلال تفاصيلها انتظامًا عجيبًا يليح المعنى لأهل الفهم ويفصله لأهل العلم ثم يحكم به على أهل الحكم."[1]

قال تعالى: [شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ] {البقرة:١٨٥}

وهذه الآية يحتمل أن تكون توطئة لقوله: [يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] {البقرة:١٨٩}

ويحتمل أن تكون توطئة لقوله تعالى: [وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ] {البقرة:١٩٦} وما بعدها من الآيات التي تتكلم عن الحج.

فالترابط الوثيق بين الصيام والحج ظاهر في التكبير، وكذلك بين أحكام الصيام والحج مثل الحجامة، ورؤية الهلال، وغيرها من الأحكام.

التكبير في عيد الفطر والحج والأضحى قال تعالى: [وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾] {البقرة:١٨٥} وقوله [وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ] {البقرة:٢٠٣}

ورؤية الهلال مرتبطة بشهر رمضان وبشهر الحج

فهو ارتباط بين عبادتين من أركان الإسلام تبدأ الأخرى حيث تنتهي الأولى وهي الصيام.

المبحث الرابع: أثر التوطئة القرآنية في تفسير آيات الاعتقاد عند المفسرين.

في قوله تعالى: [هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾] {غافر:١٣-١٤}.

قال ابن عجيبة: "لمَّا ذكر أحوال المشركين، وأراد أن يشفع بأضدادهم، جعل قوله: [هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ]..الخ، **توطئة لقوله:** [فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ] أي: اعبدوه [مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ] من الشرك الجلي والخفي."[2]

فقوله تعالى: [هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ] {غافر:١٣} **توطئة لقوله تعالى:** [فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾] {غافر:١٤}

(١) [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣/ ٧٣]

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(٥/ ١١٩)

بين الله جل وعلا فضله على خلقه بأنه يريهم من الآيات الدالة على وحدانيته، وينزل من السماء رزقًا للبشر، لكن لا يفقه ويعقل الإ من يرجع إلى الله ويعرف الله حق قدره، ثم عقب بعد ذلك بإخلاص العبادة لله وتطهير القلب من الشرك الأكبر والأصغر والخفي.

بيان أهمية التوحيد لله عز وجل وتطهير القلب من الشرك.

فهي علاقة بين حقيقة الأمر وبين ما يستوجب لزوم الأمر، فالعبودية لله حقيقة صادقة، ودلائل ربوبيته لازم من لوازم العبودية له.

أهم النتائج:

١. أن التوطئة موضوع قديم جديد من حيث تكلم العلماء عنه، جديد من حيث لم يبحث بحثًا مستقلاً.

٢. الفرق بين التوطئة والفذلكة.

٣. أن التوطئة منها ما اتفق العلماء في عبارتهم بنصها ومنها ما ذكر نفس اللفظه مع اختلاف يسير فيها، ومنها ما ذكر مع اختلاف في ألفاظها.

٤. الصلة بين علم المناسبات والتوطئة وأن بينهما تداخلاً وتباينًا.

٥. أن التوطئة من حيث صياغتها منها ما يأتي على صيغة التعريف والتنكير، ومنها ما يأتي بلفظ التوطئة أو أحد مرادفاتها، ومناه ما تكون الصيغة صريحة ومنها ما تكون محتملة.

٦. أن التوطئة تأتي من حيث موضوعاتها إما تفسيرية أو لغوية أو عقدية.

٧. التوطئة الواردة تأتي على سبعة أنواع:

آية موطئة لآية، جزء من آية موطئة لجزء من الآية نفسها، جزء من آية موطئة لجزء من آية أخرى، آية من سورة موطئة لآية من سورة أخرى، مجموعة من الآيات موطئة لآية، آية موطئة لمجموعة من الآيات، آيات موطئة لمجموعة من الآيات.

٨. للتوطئة أثر في المعنى التفسيري، وللترجيح بين أقوال المفسرين، ولتفسير آيات الأح الأحكام، وفي تفسير آيات الاعتقاد.

المصادر والمراجع :

١. الآيات القرآنية الموطئة لغيرها من خلال تفسير التحرير والتنوير وأثرها في المعنى جمعا ودراسة، تأليف د / سلطان بن فهد بن على السطامي، دار طيبة الخضراء

٢. إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ

٣. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٤. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ

٥. البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م. الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية

٧. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.سنة النشر ١٩٧٦

٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٩. تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير، ١ – مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل. ٢ – عروة المفتاح. ٣ – التوشية والتوفية. ٤ – نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران. المؤلف: الحَرَالِّيُّ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ (المتوفى: ٦٣٨هـ) مستخرجة من: تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». تصدير: محمد بن شريفة، عضو أكادمية المملكة المغربية تقديم وتحقيق: محمادي

بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

١٠. التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

١١. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

١٢. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣. تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس)

١٤. تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

١٥. تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

١٦. تفسير السمرقندي = بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤١٣

١٧. تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

١٨. تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ

١٩. تفسير القاسمي = محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٢٠. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.
٢١. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م
٢٢. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٢٣. التفسير المنير للزحيلي الكتاب: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ عدد الأجزاء: ٣٠
٢٤. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م
٢٥. الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ
٢٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٢٧. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق
٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
٣٠. غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥
٣١. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م
٣٢. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م
٣٣. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ
٣٤. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م
٣٥. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م
٣٦. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات)[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو مذيل بالحواشي، وضمن خدمة مقارنة تفاسير] الكتاب مرتبط بنسختين مصورتين، إحداهما

موافقة في ترقيم الصفحات (ط عالم الكتب)، والأخرى هي ط الرسالة بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

٣٧. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م. عدد الأجزاء: ٢.

٣٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

٣٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

٤٠. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٤١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٤٢. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: ٥

٤٣. مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ،، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"،، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م

٤٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ عدد الأجزاء:٥

٤٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٤٦. صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب ،محمد ناصر الدين الألباني ،الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ،عدد الأجزاء: ٣